

قصر الأمل

سلام عليك . فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد : فإنني محذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع . ثم تتبعك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها . فباحث الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبیین والشهداء (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) فكم من مفتضح ومستور ! .

وكم من هالك وناج ! .

وكم من معذب ومرحوم ! .

فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ؟ ففي هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر الأمل فاستيقظ النائمون وحذر الغافلون . أغاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعهما من قلوب المتقين . فإنما نحن به وله .

70 - حدثنا عبد الله قال : حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : قال بعض الحكماء : تيقظوا لأمر الله فقد... السنة عنه . واحبسوا على أنفسكم ما يمر لها صفحا من العبر وعلى أسماعكم لما يمر بها مختارا من الواعظ وليحرك التخويف منكم خوفا ولحدث التذكير لكم اعتبارا أو ليزدكم ببغض الدنيا إليكم لها بغضا ولمصارعها حذرا . وأغلقوا عليكم باب الأمل فإنه يفتح عليكم باب القسوة . وأحلوا الخوف منكم محل الرجاء . وأمهّدوا في دار مقامكم قبل الرحلة وبادروا بذلك الموت وحسرات الفوت وضيق المضطجع وهول المطلع والموقف للحساب فكأن قد أظلمكم ! .

فبادروا في بقية آجالكم فناءها وبصحة أجسامكم سقمها . وكونوا من الله على حذر ومن لقائه على عتاد . فاستدل مستدل بما يرى أو اعتبر معتبر بما يسمع أو نظر ناظر فأبصر وفكر مفكر فأنتفع . ولا ... حظوظكم من الله فقد حضرت النقلة وطال الاغترار ! .

71 - حدثنا عبد الله قال : حدثني أبو علي الجروي قال : حدثني أبو عبد الملك بن الفارسي قال : حدثني خطاب بن عبد الدائم بن دينار قال : كتب أبو عتبة عباد الخواص إلى سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر : أما بعد فإنني أوصيك بتقوى الله وحسن النظر مما هو منظور فيه من أمرك . وأعرض نفسك قبل عرض الله إياك . فالعجب لموقع هذا الخطر من القلوب مع المعرفة بفنائها والعلم بما مضى منه ومن أهله ! .

هل فيهم مغبوط بشيء كان فيه ؟ أم هل منهم طاعن بشيء معه ؟ أم هل منهم مردود إلى معتمد فأتي كتابك فسررت بعافية ا ؟ ! .

إياكم ... غلبة الهوى على المعرفة قد كان السرور بالموت أحق ولكننا نسأل ا لنا ولك بركة عطائه واللفظ بالسلامة فيما أخرنا له فقد... الموت الصالحون قبلنا عند وقوع أوائل..... في جمهورها . إنما وصف... لا نعرفه من أنفسنا ولا نناله إلا با تعالى . نحن معافون وما يأتينا من نعم ا عظيم .

72 - حدثنا عبد ا قال : حدثنا أبو عبد الرحمن النحوي عبد ا بن محمد بن هانء النيسابوري قال : أخبرنا مرحوم بن عبد العزيز عن القعقاع بن عجلان قال : خطب عمر بن عبد العزيز فحمد ا تعالى وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى . وإن لكم معادا يجمعكم ا للحكم فيكم والفصل فيما بينكم ؛ فخاب وشقي عبد أخرجه ا من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته آآتي عرضها السماوات والأرض . وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف ا واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة بسعادة . الاترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفه بعدكم الباقون ؟ الاترون أنكم في كل يوم تشيعون غاديا أو رائحا إلى ا قد قضى نحبه وانقطع أمله فيضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ؟ قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب وواجه الحساب ؟ وايم ا إني لاقول لكم مقالتي هذه وما اعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما اعلم من نفسي ؛ ولكنها سنن من ا عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته . واستغفر ا . ووضع كفه على وجهه فبكى حتى لثقت لحيته فما عاد إلى مجلسه حتى مات . C